M.S.A.R
مجلة دراسات وبحوث إعلامية
Journal of Media Studies and Research
مجلة علمية محكمة تصدر عن كلية الاعلام بالجامعة العراقية
ISSN: 2308 - 0728

Prof Dr. Jalil Wadi

E-Mail :
jwhj1963@yahoo.com

Phone Number :
07719317177

Faculty of Fine Arts / Diyala

Keywords:

- **Strategy.**
- **Media.**
- **Culture.**

A R T I C L E I N F O

Article history:

Received : 1 / 2 /2022
Accepted : 2 / 3 /2022
Available Online : 15 / 3 /2022

TOWARDS A NATIONAL STRATEGY TO PROMOTE A CONTEMPORARY CULTURE IN IRAQ

A B S T R A C T

The problem of research can be expressed in the following question: What culture do we want and how? This question may be one of the most important questions in post-2003 Iraq. The stakeholders did not specify the nature of the culture that is intended to be common and which is thought to be capable of shaping the society of the future.

The aim of the research is to prepare a proposed strategy to promote a contemporary culture among the Iraqi society. In order to prepare this strategy, the following sub-objectives must be achieved:

1 - Formulating a general form for informed cultural conten

2- Identifying the parties that would oversee this strategy that can be implement and evaluate their stages

3 - Identifying the methods and tools which used to implement the proposed cultural strategy

The research is based on the nature of the studying , which is one of the qualitative research techniques, because the research is interested in studying the cultural phenomenon of Iraq and proposing a cultural strategy as an alternative to the random methods that are dealt with in cultural upbringing.

© 2021 M.S.A.R, College of Media | The Iraqia University

Journal of Media Studies and Research (M.S.A.R) - Journal of Media Studies and Research (M.S.A.R) - Journal of Media Studies and Research (M.S.A.R)

نحو استراتيجية وطنية لإشاعة ثقافة معاصرة في العراق

أ.د جليل وادي

الإيميل :

jwhj1963@yahoo.com

رقم الهاتف :

٠٧٧١٩٣١٧١٧٧

عنوان عمل الباحث:

كلية الفنون الجميلة / جامعة ديالى

الكلمات المفتاحية:

- الاستراتيجية.
- الاعلام.
- الثقافة.

معلومات البحث

تاريخ البحث :

الاستلام : ١ / ٢ / ٢٠٢٢

القبول : ٢ / ٣ / ٢٠٢٢

التوفر على الانترنت:١٥/ ٣/ ٢٠٢٢

المـستخلص

يمكن التعبير عن اشكالية البحث بالسؤال الآتي : أية ثقافة نريد وكيف ؟ قد يكون هذا السؤال من بين الأسئلة المهمة في عراق ما بعد ٢٠٠٣ ، اذ لم تحدد الجهات المعنية طبيعة الثقافة التي يُراد لها الشيوع والتي يُظن انها قادرة على صناعة مجتمع المستقبل.

ويهدف البحث الى (اعداد استراتيجية مقترحة لإشاعة ثقافة معاصرة لدى المجتمع العراقي) ، ولكي يتسنى اعداد هذه الاستراتيجية لابد من تحقيق الأهداف الفرعية الاتية :

1ـ صياغة اطار عام لمضمون ثقافي مستنير.

2ـ تحديد الجهات التي من شأنها الأشراف على هذه الاستراتيجية وتنفيذها وتقييم مراحلها.

3ـ تحديد الطرق والأدوات التي يُستعان بها لتنفيذ الاستراتيجية الثقافية المقترحة.

4ـ الكشف عن التحديات والعقبات التي يمكن أن تعترض طبيعة المضمون وآليات تنفيذه .

5ـ تحديد متطلبات وآليات تنفيذ المشروع القانونية والمالية والتقييمية

أعتمد البحث على نموذج دراسة الحالة الذي يعد أحد تقنيات البحوث الكيفية ، لكون البحث يهتم بدراسة الظاهرة الثقافية العراقية واقتراح استراتيجية ثقافية بديلا للأساليب العشوائية التي يجري التعامل بها في التنشئة الثقافية .

© 2021 مسار، الجامعة العراقية | كلية الاعلام ،

Journal of Media Studies and Research (M.S.A.R) - Journal of Media Studies and Research (M.S.A.R) - Journal of Media Studies and Research (M.S.A.R)

المقدمة : يتناول موضوع هذا البحث الكيفيات التي من شأنها تشكيل ثقافة وطنية معاصرة في العراق ، وتحديد الآليات التي يكون بمقدورها غرس هذه الثقافة في الوسط الاجتماعي ، منطلقا من افتراض مفاده ان المشكلة العراقية بأبعادها السياسية والاجتماعية والأمنية والاقتصادية ليست سوى مظاهر لإشكالية ثقافية قائمة ، تمكنت بفعل انهيار السلطة بعد أحداث التغيير في عام ٢٠٠٣ من الظهور على السطح بعد ان كانت نائمة طوال العقود السابقة بدءا من تشكيل الدولة العراقية في عشرينيات القرن الماضي .

اذ تشير الأدبيات المعنية بالمسألة الثقافية والملاحظات الميدانية للباحث الى غياب مشروع الثقافة الوطنية الذي يعد البنية التحتية لأي تغيير ، وبدونه تواجه الدولة والمجتمع تحديات وتداعيات قد تقودهما الى الانهيار كما هو حاصل في الراهن العراقي ، لذلك يشكل مشروع الثقافة الوطنية المتين والمعاصر حاجة أساسية لا يمكن بأي حال من الأحوال تجاوزها او القفز عليها .

❖ مقاربة نظرية للموضوع

بالرغم من الأهمية البالغة لمشروع الثقافة الوطنية؛ الا انه لم يول العناية الكافية من الجهات المعنية بالشأن الثقافي ، اذ وظف هذا المشروع سياسيا من النظام خلال عقود ما قبل التغيير ، باتجاه قولبة المجتمع في اطار ثقافي لصالح تعزيز بقاء النظام في السلطة ، بينما تركت المنظومة الثقافية تتشكل عشوائيا بعد الاحتلال الأمريكي للعراق تتقاذفها الجهات والقوى الفاعلة في المشهد السياسي والاجتماعي ، الأمر الذي قاد الى تصدع المجتمع وتوزعه بين ثقافات فرعية ضيقة اتسم بعضها بالتطرف والارهاب والنزعة العرقية والطائفية والقبلية .

ان غياب هذا المشروع يعني في جانب كبير منه ان العراق دولة ومجتمعا يعاني من فراغ ثقافي أنتج الكثير من المظاهر الثقافية السلبية كتراجع الولاء الوطني وعدم الشعور بالمواطنة وتراجع قيمة التسامح وغيرها من القيم التي سيجري الحديث عنها في البحث . وبالتالي لا يمكن تعزيز الوحدة الوطنية وبناء دولة يسودها التداول السلمي للسلطة واشاعة أجواء التعايش السلمي بين المكونات العراقية في غياب مثل هذه القيم المهمة .

ومع ان الباحث يظن ان المدخل الثقافي كفيل بحل العقدة العراقية التي مضى عليها ما يقرب العقدين ، الا انه لا ينفي تأثيرات العامل السياسي والاقتصادي في العامل الثقافي ، اذ ان هذه العوامل تتبادل التأثير ، وبخاصة العامل السياسي ، لكن علينا ألا نغفل ان الظاهرة السياسية هي في جانب كبير منها نتاج ثقافي .

ان اجراء مقاربة مع التجربة التونسية بعد تغيير النظام السياسي فيها يكشف عن أهمية المدخل الثقافي لحل الاشكالية السياسية ، فقد تمكن التونسيون من عبور الأزمة السياسية بخسائر تكاد لا تذكر ، بينما ما زال الصراع السياسي في العراق يطحن الثروة البشرية والمادية من دون طائل . وفي هذه المقاربة يقف العامل الثقافي في الواجهة ، ذلك ان متانة المنظومة الثقافية التونسية ومستوى التحضر الذي أحدثته في المجتمع شكل حصنا منيعا للمجتمع والدولة ازاء التداعيات المحتملة لمرحلة ما بعد تغيير نظام الرئيس زين العابدين بن علي ، آخذين بالحسبان اختلاف الخصائص السياسية والجغرافية والاقتصادية للبلدين وحجم التدخلات الخارجية في شؤونهما .

يتطلع الباحث الى رسم اطار عام لاستراتيجية تعنى ببلورة مشروع للثقافة الوطنية يتسم بالمعاصرة ويستمد نسغه من الخزين الثري والمشرق الذي ينطوي عليه تراث الامة ببعديه العربي والاسلامي ، وينفتح على ثقافة الاخر لتمثل ما استحدثه من قيم ومفاهيم وتجارب ، ليتسنى تشكيل الثقافة المتوافقة مع متطلبات المستقبل ، وتحرير الراهن الثقافي من هيمنة الماضي والمنظور المتخلف لبعض القوى والتيارات في التعاطي مع الحاضر .

يدرك الباحث ان هذا الاستراتيجية ليست بالأمر الهين ، والطرق الى تنفيذها ليست معبدة ، بل ستعترضها الكثير من التحديات على مستويات مختلفة ، كما لا تدعي الكمال ، فهي منفتحة

للاقتراحات والاضافات والتعديلات التي فاتت الباحث ، فضلا عن ان ثمارها ليست عاجلة ، بل ان احداث التأثيرات في المجتمع يقتضي زمنا ليس بالقصير ، ويتوقع الباحث ان المجال الزمني لها يربو على العقدين منذ بدء العمل بها ،مع التنفيذ الملتزم بمضمونها من الجهات التي ستكلف بذلك .

يستمد هذا البحث مشروعيته من ان الجهات التنفيذية لم تتحسس بعد بأهميته ، وانشغلت بما هو سياسي مهملة ما هو ثقافي ، يتملكها الظن ان الحلول رهينة بالعمل السياسي ، لذلك يأتي هذا البحث للفت الأنظار لأهمية مشروع الثقافة الوطنية وضرورة المباشرة بتنفيذه ، وحث المعنيين على بلورة تصورات علمية بهذا الشأن.

وتبقى الاشارة الى ان البحث سيتجاوز السياق المدرسي في كتابة البحوث من خلال اجراء تداخل بين الاطارين المنهجي والنظري حفاظا على مضمون البحث من التفكك .

المبحث الأول : منهجية البحث

أولا ــ اشكالية البحث

اذا كان غياب ثقافة وطنية يقف وراء الكثير من المشكلات التي يتعرض لها المجتمع العراقي بما فيها المشكلات السياسية ، وان الحلول مهما كانت طبيعتها لن يكتب لها النجاح ما لم يكن مدخلها ثقافيا ، فأن مشروع الثقافة الوطنية يشكل حاجة للواقع العراقي بأبعاده السياسية والاجتماعية والاقتصادية من شأنها ملء فراغ ثقافي قائم ، وطالما الأمر كذلك فأن تحديدا دقيقا لإشكالية هذا البحث ، تقتضي توصيفا لإشكاليات الراهن الثقافي التي تتمثل فيما يأتي :

أ ــ طبيعة الثقافة السائدة

أثبتت تجربة السنوات الماضية عدم تشكل منظومة ثقافية متماسكة يكون بمقدورها الصمود إزاء التحديات التي واجهت المجتمع بعد أحداث التغيير السياسي في عام ٢٠٠٣، وان مجموعة القيم الايجابية الموروثة لم تنتظم بشكل صحيح في سلم قيمي يجعل منها أداة ضبط اجتماعي تقف حائلا أمام قيام الأفراد بسلوك متعارض معها، اذ شهد السلم القيمي ارتباكا واضحا، أتاح لقيم سلبية البروز، بينما دفع بأخرى ايجابية الى التراجع، فغدا السلوك المشين مبررا نفسيا وفي أحيان معينة اجتماعيا .

وتشير هذه الحقيقة الى ان القائمين على المؤسسات البنيوية الرسمية خلال العقود الماضية لم يولوا العامل الثقافي الاهتمام الذي يستحق، واقتصار ذلك الاهتمام على تشكيل ثقافة تتوافق مع طبيعة الأيديولوجيا الحاكمة، ما أنتج ثقافة أحادية افتقدت للميكانزمات التي تتيح لها الرسوخ العميق في عقول الجماهير ونفوسهم، او الانشغال بما يرونه أكثر أهمية، او الجهل بتأثيراته

المحتملة، بخاصة انه من العوامل ذات الإنتاجية الآجلة، وبذا أصبح المجتمع من الهشاشة بمكان جعله عرضة لثقافات عشوائية غالبا ما كانت غير مستنيرة أسهمت في بلورتها معطيات التخلف بمختلف أشكاله[١].

ومع ان النهوض بالمجتمع يستدعي العمل الدؤوب على بناء ثقافة متحضرة تستمد مكوناتها من حصيلة التجربة الإنسانية، ومجموعة المفاهيم التي يراد لها الشيوع في العراق الجديد، لتحل محل المعتم من المكونات الثقافية الراهنة، الا ان استراتيجية للعمل الثقافي لم تتضح بعد على الرغم من مرور سنوات على أحداث التغيير .

واذا كانت الثقافة هي الكل المركب من الأفكار والعادات والتقاليد والأعراف والعقائد والنظم وغيرها[٢] ، فأن الثقافة السائدة في مجتمعنا تعاني جملة من الأمراض المزمنة التي تنخر في جسدها، فضلا عن تعريض حياة المجتمع عندما تتحول الى سلوك وممارسة الى تحديات جسيمة ومخاطر جمة قد يكون من بينها انهاء حياة الانسان . وهذا ما حدث بالفعل على مر تاريخ مجتمعنا ، اذ سالت أنهار من الدم بسبب سيادة ثقافة غير مستنيرة كانت قد هيمنت على شريحة او طائفة او نخبة او أفراد من المجتمع، ما حملهم على رسم صور نمطية سوداء او القيام بأفعال عدائية ضد اخرين . ومع ان ذلك ليس بخاف على المختصين بشأن الثقافة ، الا ان عقم آليات المعالجة حال من دون التصدي لتلك الأمراض التي باتت عصية على الاستئصال . فالتعميم والذاتية والتطرف والانتقام و(البهلوانية) والنظرة الدونية للمرأة والفن والتفكير غير العلمي واللاموضوعية وغيرها من العناصر السلبية تسللت الى ثقافتنا السائدة وغدت من عناصرها الأساسية .

ومع اننا نأمل بمستقبل مشرق لهذا المجتمع ، الا ان وعيا بذلك المستقبل لم يتبلور بعد في أذهاننا ، وأبرز معيقات ذلك ان حاضرنا متأثر بماضينا بلا حدود ، بل ان الماضي حاضر في حياتنا بقدر مواز للحاضر نفسه ، حتى ان المرء يشعر في غالب الأحيان انه يحيا في الماضي[٣] ، فجل الثقافة الفاعلة في الواقع مستمدة من الماضي القريب منه والبعيد ، وهي في جميع الأحوال لا تمت بصلة للمستقبل سوى تلك العبارات الانشائية التي سطرها الفاعلون السياسيون في مقدمة خطاباتهم المتفائلة من دون أن تجد لها تجسيدا في الواقع .

وفي الوقت الذي تعمل فيه مؤسسات التنشئة الاجتماعية على تعزيز السائد من القيم ، تركت القيم الجديدة تتشكل كيفيا ، لذلك كثيرا ما شهدنا صراعا ثقافيا بين منظومتنا الثقافية والوافد من قيم الآخر سواء عبر الفضاءات الاعلامية المفتوحة او نتيجة حتمية التعامل مع ما وصلنا من منجزات الآخر المادية ، وفي كلا الحالين كان الجمهور العام ساحة ذلك الصراع ، مع انه لم يتهيأ له بالقدر الوافي .

---

(١) جليل وادي ، الاعلام في البيئات المتأزمة : العراق نموذجا ، عمان ، دار اسامة ،٢٠١٢ ، ص ١٤.

(٢) جون ديوي ، الحرية والثقافة ، ترجمة أمين مرسي قنديل ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، بدون تاريخ ، ص٣١.

(٣) هادي نعمان الهيتي ، اشكالية المستقبل في الوعي العربي ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ٢٠٠٣، ص ٢٢.

ان غالبية مؤسسات التنشئة في بلادنا (الأسرة ، المدرسة ، وسائل الاعلام) خنوعة لضغوطات الواقع ، وبخاصة تلك الضغوط التي تستمد مشروعيتها من الانتساب الى الماضي بأبعاده المختلفة الايجابي منه او السلبي من دون أن تكون لها قدرة التمرد على عناصر ثقافية يعرف القائمون عليها تمام المعرفة انها ما عادت صالحة للمستقبل ، كما انها لم تتجرأ حتى على التخطيط لاستحداث قيم المغايرة التي يمكن للمرء من خلالها مواكبة متغيرات العصر وما سيؤول اليه المستقبل .

ان السؤال الأهم هو كيف نشكل ذهنية المواكبة ونغادر ذهنية المغايرة ، فالمغايرة لا تعني سوى زج الامة في صراعات لن تجني منها الا مزيدا من التخلف ، بخاصة ان جميع معطيات ثورة الاتصال تنحو باتجاه عولمة الهوية بكل ما تنطوي عليه من أبعاد ثقافية او سواها .

ب ـ نوع الثقافة

على الرغم من كثرة المفاهيم الثقافية التي يطلقها الفاعل السياسي العراقي بوصفه معنيا ببناء الدولة استنادا الى منطلقات مغايرة لمراحل سابقة ، الا ان تلك المفاهيم ترتبط بمرجعيات فكرية وثقافية متباينة ، وفي أحيان كثيرة متناقضة[١] ، اذ لم يعد بمقدور المرء التعرف الى نوع الثقافة التي يراد لها التشكل لدى المجتمع . كما ان الحركة السياسية والثقافية تشير الى ان طموحا منفعلا يحدو التشكيلات الفاعلة في المشهد لأن تكون الثقافة السائدة تلك التي تتوافق مع مرجعياتها الفكرية سواء أكانت دينية ام حزبية وغيرها ، ومن المؤكد ان هذه الطموحات اذا ما أتيح لها التحقق على صعيد الواقع ، فان مساحات التناقض ستشهد اتساعا ، وبالتالي ستكون الفرصة سانحة لوقوع صراعات ثقافية حادة تنعكس سلبا على مجمل الحركة الاجتماعية ، لاتخاذها أدوات عديدة لإدارة الصراع من أبرزها العنف ، وقد كشفت التجربة السياسية الراهنة عن صراع محتدم ينطوي على رغبة عارمة بالوصول الى السلطة والهيمنة عليها ، لذلك فان القوى نفسها تعمل جاهدة على إشاعة مفاهيمها الثقافية سعيا لهيمنة ثقافية ، وبما ان مفاهيم بعض القوى تنطوي على ما يعزز ثقافات فرعية وولاءات ضيقة ، فان ذلك سيقود بالتأكيد الى تداعيات من شأنها تعريض حياة المجتمع لمخاطر جمة[٢] .

ج ـ مظاهر التراجع الثقافي وفشل الدولة

لا يعني الفراغ الثقافي غياب المركبات الثقافية للشرائح والمكونات الاجتماعية كلا على حدة ، بل في ايجاد المشتركات التي من شأنها تشكيل الثقافة الوطنية ، او جمود تلك المركبات في سياق زمني بعيد تماما عن السياق الزمني الراهن ، بالشكل الذي جعل الفجوة الفاصلة بين تلك المركبات والثقافة العالمية من الاتساع بحيث يتعذر وصفها ، وبهذا فان الفراغ الثقافي يعني في

(١) هيئة التحرير ، المواطنة .. الوطن .. الوطنية ، مجلة المواطنة والتعايش ، مركز وطن للدراسات ، العدد (١) ، ٢٠٠٧ ، ص ٩.

(٢) حسين درويش العادلي ، المواطنة وامتحان الولاء ، مجلة المواطنة والتعايش ، مركز وطن للدراسات ، العدد (٢) ، ٢٠٠٧ ، ص ٥.

جوانب منه غياب الثقافة الوطنية المرنة والمواكبة[١] . وعليه فان الفراغ الثقافي وتخبط العمل السياسي أنتج الكثير من المظاهر السلبية التي بدت جلية للعيان من بينها :

١ ــ ضعف الشعور بالانتماء والولاء الوطني.

٢ ــ اعلاء شأن الولاءات الضيقة (الدينية والمذهبية والعرقية والقبلية).

٣ ــ شيوع ظاهرة التطرف والارهاب.

٤ ــ عدم الشعور بالمواطنة.

٥ــ تراجع قيمة التسامح مقابل تنامي الأحقاد والضغائن.

٦ ــ اهتزاز الثقة بتطبيق العدالة .

٧ ــ سوء استخدام الآليات الديمقراطية.

٨ ــ عدم الاعتبار لسيادة القانون والنظام.

٩ ــ تراجع الذوق العام.

١٠ ــ انتشار ظاهرة الفساد المالي والاداري.

١١ ــ اتساع سلوك اللامبالاة.

هذه المظاهر السلبية وغيرها لم تظهر من فراغ ، بل كانت في جانب كبير منها افرازا لثقافة سائدة وغيابا للثقافة الوطنية المستنيرة والشاملة ، وأظن أن سيادة مثل هذه المظاهر في الواقع الاجتماعي يعفي المعنيين من التدليل على الفشل المريع الذي منيت به العملية السياسية لإنتاج (عراق جديد بمضمون مختلف) عما كان سائدا في الأزمنة السابقة . وهنا تتجلى مشكلة البحث بأوضح صورها .

د ــ أسئلة الاشكالية

يمكن التعبير عن اشكالية البحث بالسؤال الآتي : أية ثقافة نريد وكيف؟ قد يكون هذا السؤال من بين الأسئلة المهمة في هذه المرحلة ، ذلك اننا لم نحدد طبيعة الثقافة التي نريد لها الشيوع والتي نظن انها قادرة على صناعة مجتمع المستقبل الذي يفترض أن تتسم ثقافته بخصائص مغايرة في بعض جوانبها لما هو قائم ، لكن هذا السؤال لم يحظ حتى اللحظة باهتمام كاف من الجهات المعنية بالشأن الثقافي ، التي ظن بعضها ان جل العمل يتجسد في تسيير الأمور الثقافية وليس صناعة ثقافة مستنيرة ، كما انها لم تضع في الحسبان ان سد الفراغ الثقافي يقتضي عملا سريعا عبر مختلف الوسائل المتاحة ، فالثقافة حاجة أساسية تتطلب عناية بالغة اذا ما أريد الارتقاء بالمجتمع .

([١]) جليل وادي ، الاعلام والفراغ الثقافي .. رحلة التميع والتيه ، جريدة المدى ، العدد (٣٢٥٩) ، في ١١ / ١/ ٢٠١٥.

ثانيا ـ أهمية البحث والحاجة اليه

اذا كان المجتمع ينظر الى الأشياء بثقافته وليس بعينيه ، عند ذاك ندرك ان المدخل الحقيقي للارتقاء بالمجتمع ينطلق من النهوض بثقافته ، ذلك انها المدخل الذي لابد منه اذا ما اريد تسلق سلم التطور ماديا ومعنويا[١] ، وهذا ما التفتت اليه الكثير من التجارب التنموية في بلدان مختلفة كماليزيا والبرازيل وكوريا الجنوبية وغيرها عندما أولت التعليم اهتماما خاصا .

وعلى هذا لابد من وضع الاستراتيجيات اللازمة لإعمار ثقافتنا وتحديد الآليات التي من شأنها تنفيذ تلك الاستراتيجيات عبر اختيار فرق كفؤة في ميدان العمل ، لكن المشكلة تكمن في ان تجاربنا السياسية كثيرا ما تنشغل بتحقيق المنجزات العاجلة واهمال تلك التي تعطي ثمارا آجلة كالتعليم ، ولذلك علينا أن نتوقف مليا أمام سياستنا التعليمية وبرامجنا الثقافية قبل أن نناقش التصاميم الرشيقة للفنادق والمطارات والمقرات الحكومية وغيرها . ذلك ان المستقبل يراد له ثقافة مغايرة لما هو سائد ، فالكثير من عناصر منظومتنا الثقافية لا يتلاءم مع معطيات المستقبل التي تفترض شيوعا للتفكير العلمي بدل أنماط التفكير المتخلفة التي يتداولها المجتمع في الوقت الراهن ، ذلك ان هذا النمط في حال شيوعه كفيل بالقضاء على غالبية الأمراض المزمنة في ثقافتنا ، وفي هذا يكمن جانب من أهمية هذا البحث .

كما تتجسد أهمية البحث في سعيه الى رسم استراتيجية مقترحة لإشاعة ثقافة معاصرة في العراق ، ذلك انه بالرغم من الرغبة المعلنة بضرورة أن تواكب الثقافة التغييرات الشاملة التي يجري العمل على احداثها في البنية السياسية والاجتماعية، ومع ان آليات العمل الثقافي تتحدد على وفق الأهداف ، الا ان الجهات المعنية لم تتمكن من وضع الاستراتيجيات المناسبة ، بسبب ان نوع الثقافة بوصفه هدفا استراتيجيا لم يجر بلورته بعد ، وربما يعزى ذلك الى غياب الموضوعية لدى الجهات المكلفة بالشأن الثقافي ، بحكم ان تكوينها جاء افرازا لمحاصصات سياسية كان فيه للمتغيرات الحزبية والطائفية والعرقية الأثر الكبير، وفي الوقت الذي يُنتظر فيه من تلك الجهات وضع الاستراتيجيات الثقافية ، نلحظ استمرار الصراعات والانقسامات بين أطرافها [٢] .

وتتمثل الأهمية أيضا في محاولته بلورة منظومة ثقافية وطنية معاصرة وشاملة من شأنها الحفاظ على وحدة البلاد وتعزيز تماسك النسيج الاجتماعي ، وردم الفجوة الثقافية المتسعة باستمرار مع الآخر ، وإعلاء شأن ثقافة التواصل ، والتقليل من أهمية الثقافات الضيقة ، وتمثل المتغيرات الثقافية التي يشهدها العالم ، وغرس المفاهيم النبيلة التي تعزز قيم التسامح والمحبة ونبذ العنف وتقبل الرأي الآخر وغيرها ، فضلا عن وقوفها حائلا أمام تحقيق الطموحات الثقافية الضيقة للقوى الفاعلة في المشهد السياسي والاجتماعي بعد اكتساب مشروع الثقافة الوطنية شرعيته بالإجراءات القانونية .

ومع ان بعضا من المضامين الثقافية لهذا البحث قد جرى تداولها في بعض الكتب والدوريات والمحافل ، الا ان النظر الى العامل الثقافي بوصفه مدخلا لحل الأزمات السياسية والاجتماعية لم

(١) خير الله سعيد ، الاصلاح يبدأ بالثقافة ، www.alnaked-aliraqi.net، استرجع بتاريخ (٣٠ / ١ / ٢٠١٦) .
(٢) حسام الدين علي مجيد ، التعددية الثقافية ومستقبل الدولة ـ الأمة الكندية : مقاربة لحالة العراق ، مجلة المستقبل العربي ، العدد (٤٢٦) ، ٢٠١٤ ، ص ١٠٧.

تطرق مسامع الباحث ، وبذا فان البحث سيشكل اضافة مهمة الى الأدبيات الثقافية والسياسية بهذا الشأن .

لقد أتاح غياب ثقافة وطنية شاملة لجميع القوى السياسية على اختلاف مشاربها التمتع بقواعد جماهيرية ، بخاصة تلك التي غازلت مشاعر طائفية وعرقية ، ما مكن أنماط ثقافية تجاوزها العالم منذ عقود أن تفعل فعلها بالجماهير التي لم يكن بمقدورها إدراك أبعادها الخطرة الا بعد أن دفعت أثماناً باهظة من الثروة البشرية والمادية ، فضلا عن التصدعات الحادة في النسيج الاجتماعي ، وتعريض البلاد الى مخاطر التقسيم ، الأمر الذي يشير الى ان الوعي الجماهيري بحجم المخاطر لم يتبلور بفعل عوامل ثقافية برغم انطواء المنظومة الثقافية السائدة على قيم وطنية وانسانية ، الا اننا لم نلحظ حضورا ايجابيا فاعلا لتلك القيم في المفترقات الحاسمة التي أثارتها الظاهرة الطائفية ، وذلك مدعاة للتساؤل عن مدى فاعلية القيم الراهنة بالتأثير في المجتمع ، والحقيقة ان الوعي الجماهيري الذي تمكن لاحقا من ادراك مخاطر المؤامرة الطائفية تشكل بفعل التجربة والاكتواء بنيران الفتنة[١] ، وانه لأمر خطير أن ينحصر تشكل الوعي بالتجربة ، اذ يعني ذلك حتمية تعرضنا للكثير من التجارب المأساوية لكي يتسنى فهم طبيعة الواقع والآليات التي يجب الاستناد اليها في المسير نحو المستقبل .

وبذا فأن الاستراتيجية التي يقترحها هذا البحث في حال تنفيذها ونجاحها قد تسهم في تجنيب العراقيين المآسي التي نتجت عن الولاءات الطائفية والدينية والعرقية والقبلية لحساب ولاء وطني هو بالمجمل حصيلة مشروع الثقافة الوطنية وليس أي عامل آخر ، وبهذا تكمن الأهمية المجتمعية لهذا البحث ، فضلا عن فوائده للجهات المعنية بالشأن السياسي والثقافي بمحاولته وضع خطوات جادة في مشروع كبير وطويل ، لربما يسهم في تحريك الركود للإحساس بأهمية العامل الثقافي ، وبالتالي اتخاذ قرار المباشرة بمشروع الثقافة الوطنية .

واذا كانت الحالة الثقافية العربية قد كشفت على حد تعبير العلامة عبد الله بن بيّه الخبير في المجمع الفقهي العالمي عن (العجز عن اقتراح مشروع ثقافي حضاري شامل يتسلم زمام المبادرة التاريخية ، يجوز إجماع العرب ويوحد قواهم أمام تحديات القرن القادم) [٢] ، فأن هذا البحث الذي يضع خطوة في الرد على هذا العجز ، ويتطلع ليكون مشروعا ثقافيا شاملا بالتكامل مع الرؤى والاضافات والتعديلات التي يضيفها المعنيون بالشأن الثقافي عليه ، ذلك انه لا يدعي الكمال ، بل يحاول اقتحام هذا الميدان الذي يتردد كثيرون من الخوض فيه لاعتبارات شتى ، قد يكون من بينها اليأس الذي يتملكهم من احداث التغيير المطلوب في بيئة تتسم بصلادتها جراء تراكمات التخلف .

(١) جليل وادي ، الوعي بالتجربة ، جريدة المدى ، العدد (١٢٤٣) في ٢٩ / ١٢ / ٢٠٠٧.
(٢) عبد الله بن الشيخ المحفوظ بن بيّـه ، الثقافة العربية والمستقبل ، www.binbayyah.net/portal/research/151 ، استرجع بتاريخ (٢٥ / ١ / ٢٠١٦).

ثالثا ـ أهداف البحث

يرمي البحث الى تحقيق الهدف الرئيس المتمثل بـ (اعداد استراتيجية مقترحة لإشاعة ثقافة معاصرة لدى المجتمع العراقي) ، ولكي يتسنى اعداد هذه الاستراتيجية لابد من تحقيق الأهداف الفرعية الاتية :

أـ صياغة اطار عام لمضمون ثقافي مستنير .

ب ـ تحديد الجهات التي من شأنها الأشراف على هذه الاستراتيجية وتنفيذها وتقييم مراحلها .

ج ـ تحديد الطرق والأدوات التي يستعان بها لتنفيذ الاستراتيجية الثقافية المقترحة .

د ـ الكشف عن التحديات والعقبات التي يمكن أن تعترض على طبيعة المضمون وآليات تنفيذه .

هـ ـ تحديد متطلبات وآليات تنفيذ المشروع القانونية والمالية والتقييمية .

رابعا ـ منهج البحث

يندرج هذا البحث ضمن البحوث الوصفية بحسب نوعه ، ذلك ان هذا النوع من البحوث يعنى (بدراسة الأحداث والظواهر والمواقف والآراء وتحليلها وتفسيرها بغية الوصول الى استنتاجات مفيدة لتصحيح الواقع او تحديثه او استكماله او تطويره بما يؤدي الى فهم للحاضر يستهدف توجيه المستقبل)[١] .

ومن بين النماذج الخمسة التي حددها هوتيني للبحوث الوصفية[٢] ، اعتمد البحث على نموذج دراسة الحالة الذي يعد أحد تقنيات البحوث الكيفية ، لكون البحث يهتم بدراسة الظاهرة الثقافية العراقية واقتراح استراتيجية ثقافية بديلا للأساليب العشوائية التي يجري التعامل بها في التنشئة الثقافية ، وفي مثل هكذا ظاهرة يغدو التفسير الكيفي لواقعها أكثر ملائمة لهذا البحث من التفسيرات الأخرى ، كما ان الخصائص الأساسية التي يتسم بها تكنيك دراسة الحالة يتوافق تماما مع الآليات المنهجية المتبعة في هذا البحث ، اذ تتركز هذه الخصائص في التركيز والوصف والاستقراء والاستكشاف[٣] .

وبما ان الظاهرة الثقافية العراقية لا تنطوي على بيانات واضحة بدقة ما يجعل البحث فيها معتمدا بالدرجة الأساس على الأدبيات التي تناولتها والملاحظات التي يسجلها الباحث عن الظاهرة ومراقبة كيفيات تكوينها ، بخاصة ان الباحث كان قد شغل خلال المدة التي أعقبت الاحتلال الأمريكي مسؤوليات اعلامية عديدة ما جعله على دراية بالكثير من حيثيات هذه الظاهرة ، وبالتالي فأن الاعتماد على دراسة الحالة يقود الى الحصول على بيانات وصفية وتفسيرية شاملة

(١) محمد منير حجاب ، أساسيات البحوث الاعلامية والاجتماعية ، ط٣، القاهرة ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، ٢٠٠١ ، ص ٧٨.
(٢) أبو طالب محمد سعيد ، علم مناهج البحث ، الجزء الأول ، بغداد ، دار الحكمة للطباعة ، ١٩٩٠ ، ص ٩٤ .
(٣) شيماء ذو الفقار زغيب ، مناهج البحث والاستخدامات الاحصائية في الدراسات الاعلامية ، القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ، ٢٠٠٩ ، ص ٢٢٤ .

لأسباب الظاهرة على العكس من المناهج البحثية الأخرى التي يتعذر عليها بيان كافة أسباب الظاهرة [١] ، فضلا عن تزويد الباحث بتصورات تعينه على بناء الاستراتيجية التي ينشدها .

خامسا ـ المصطلحات ذات العلاقة بالبحث

يستند البحث الى أربعة مصطلحات أساسية هي :

أ ـ الاستراتيجية

حظي مصطلح الاستراتيجية بتعريفات عديدة ومن منظورات مختلفة عسكرية وادارية وسياسية واقتصادية وغيرها [٢] ، وان أقرب تلك التعريفات لهذا البحث ، هو التعريف الذي ينص على (أن الاستراتيجية هي مجموعة السياسات والأساليب والخطط والمناهج المتبعة من أجل تحقيق الأهداف المنشودة في أقل وقت ممكن وأيسر جهد مبذول[٣]) .

ب ـ المعاصرة

تعني كلمة (عاصر) في اللغة العربية الوجود في الزمن ذاته ، وعندما نقول شاعر معاصر أي يعيش في عصرنا ، والانسان المعاصر يعني الانسان الذي يعيش الآن ، وبهذا فالمعاصرة في اللغة تشير الى معايشة الحاضر بالوجدان والسُّلوك والإفادة من كلّ منجزاته العلميَّة والفكريَّة وتسخيرها لخدمة الإنسان ورقيّه[٤] ، ولكن ذلك لا يكشف بأي وجه من الوجوه عن قطيعة مع الماضي البتة ، وهي بهذا البحث لا تتنكر لتراث الأمة المادي والروحي ، بل نريد بالمعاصرة ما ذهب اليه حسن حنفي بقوله (ان المعاصرة تعني مجابهة مشكلات الواقع ، والدخول فيها ، ومواجهتها مواجهة مباشرة ، ورؤية الواقع والإحساس به ، والنظر إلى ما تحت الأقدام . وتعني أن يعيش الإنسان أحداث الزمن ، وأن يعرف روح العصر ، وأن يرفض جميع أشكال الزيف لتغليف الوعي القومي وتعميته ودفعه نحو الغربة والاغتراب .... وانها لا تعني استسلاماً للأمر الواقع ، بل بحث في جذوره التاريخية وأبنيته الحاضرة ومتغيراته المستقبلية) [٥] .

ج ـ الأصالة

يذهب المعنى اللغوي لمفردة (أصالة) الى الجودة والعراقة والابتكار ، فأصالة الرأي جودته ، وأصالة النسب عراقته ، وأصالة الأسلوب ابتكاره[٦] ، وبذلك لا تحيل هذه المفردة في القاموس العربي الى الانغلاق على الذات وعدم الانفتاح على الغير كما حاولت أن توحي به بعض المذاهب الفكرية العربية وبخاصة منها الاسلامية ، واستنادا الى ذلك أوجد بعض المفكرين

([١]) المصدر نفسه ، ص ٢٢٤ و ص ٢٢٥
([٢]) كاظم هاشم نعمة ، الوجيز في الاستراتيجية ، بغداد ،شركة أياد للطباعة ، ١٩٨٨ ، ص٥٦ .
([٣]) تعريف الاستراتيجية ، faculty.ksu.edu.sa/28723/DocLib،استرجع بتاريخ (٨ / ٢ / ٢٠١٦) .
([٤]) معجم المعاني الجامع ، www.almaany.com/ar/dict/ar ، كلمة معاصر ، استرجع بتاريخ (٢٥ / ١ / ٢٠١٦) .
([٥]) حسن حنفي ، الأصالة والمعاصرة .. بأي معنى ؟ ، جريدة الاتحاد الاماراتية ، ٩ / فبراير / ٢٠١٦ .
([٦]) معجم المعاني الجامع ، www.almaany.com/ar/dict/ar ، كلمة أصالة ، استرجع بتاريخ (٢٥ / ١ / ٢٠١٦) .

مفهوما للأصالة لا يقطع صلة الحاضر والماضي بالمستقبل ، وهو المفهوم الذي يعطي دفعا للواقع العربي باتجاه مواكبة الآخر بما حققه من منجز حضاري وليس مغايرته بما تنطوي عليه هذه المغايرة من تعميق الهوة بين العالم العربي والاسلامي والعالم المتقدم ، ذلك ان الأصالة بهذه المعاني تسهم في معالجة مشكلات الواقع بمنظور واقعي وعقلاني ومنفتح .

وبالرغم من ان الأصالة بهذا المفهوم قد لاقت معارضة شديدة من اتجاهات فكرية متشبثة بأحكامها المطلقة بأن التجربة الماضية للامة العربية والاسلامية في الحكم كفيلة بإيجاد الحلول الناجعة لمشكلات الحاضر ، واتهمت أصحابها بشتى النعوت وصلت في بعضها الى الاتهام بالكفر والألحاد واحتقار الذات والتعلق بذيول الغرب المنحل ، وبصرف النظر عن موقف الباحث من هذه الاتجاهات سلبا او ايجابا فأنه يرى ان مصطلح الأصالة الذي شاع استخدامه خلال أربعينيات القرن الماضي[١] ، عُني به القدرة على الإبداع والابتكار في إنتاج أدوات أو مخترعات أو أي أعمال فنية وأدبية ، وبعبارة أخرى هي امتياز الشيء أو الشخص على غيره بصفات جديدة صادرة عنه .

د ـ الثقافة المستنيرة

ورد في معجم المعاني الجامع ان كلمة (مستنير) هي اسم فاعل من (استنار) ، بمعنى ضاء ، استنار برأيه استمد منه النور ، واستنار عقله تنّور ، وتمتع بعقل مستنير بمعنى تمتع بعقل واع وناقد ، واستنار الشعب أي صار واعيا مثقفاً[٢] .

وبذا فأن الثقافة المستنيرة في أبسط معانيها هي الكل المركب من العناصر الثقافية التي يكون بمقدورها نقل المجتمع من عتمة التخلف الى نور العلم بما يجعل منه مجتمعا واعيا وناقدا لما ينطوي عليه ماضيه وحاضره ومستقبله[٣] ، وهي بهذا تفترض تصنيفا جديدا للثقافة بحصرها بين ثقافة متخلفة واخرى مستنيرة ، وما الحركات العلمية والفكرية على مر التاريخ الا محاولات لنقل المجتمعات من واقعها المتخلف الى آخر متقدم يشبع احتياجاتها الأساسية ويحقق لها الرفاهية.

(١) صالح زياد ، الأصالة : مهاد المفهوم (اللغة ، التاريخ ، الايديولوجيا) ، www.al-jazirah.com/culture ، استرجع بتاريخ (٢٦ / ١ / ٢٠١٦).

(٢) معجم المعاني الجامع ، www.almaany.com/ar/dict/ar ، كلمة (استنار) ، استرجع بتاريخ (٢٦ / ١ / ٢٠١٦) .

(٣) جليل وادي ، القوة الثالثة : الادارة الاعلامية للأزمات العربية ، عمان ، داري البداية والمستقبل ، ٢٠١٣ ، ص ٢٠٨ و ص ٢٠٩.

المبحث الثاني : الاستراتيجية الثقافية المقترحة

ـ هيكلية الاستراتيجية

تشير الأدبيات الى ان الخطوة الأولى في التخطيط للمشروع قيد الدراسة تبدأ بوضع الإطار العام للاستراتيجية[١] ، وعلى هذا فأن الاطار العام للاستراتيجية الثقافية المقترحة في هذا البحث تتكون من :

١ ـ ادارة المشروع .

٢ ـ أهداف المشروع .

٣ ـ مضمون الثقافة الوطنية المعاصرة .

أ ـ مبادئ الثقافة المقترحة .

ب ـ مصادر المضمون الثقافي .

ج ـ أشكال التعبير عن المضمون الثقافي .

٤ ـ المجال الزمني للمشروع .

٥ ـ التحديات القائمة والمتوقعة للمشروع .

٦ ـ وسائل وطرق تنفيذ المشروع .

٧ ـ تمويل المشروع

٨ ـ الجوانب القانونية للمشروع .

٩ ـ تقييم المشروع .

أولا ـ ادارة المشروع

تقترح الاستراتيجية تشكيل مجلس أعلى للثقافة في العراق يرتبط بمجلس الوزراء تحديدا بوصفه الجهة التنفيذية في الدولة ، وبما ان المشروع له صلة بجهات تنفيذية واخرى غير تنفيذية ، فضلا عن ان هناك جهات لها علاقة أساسية بهذا المشروع أكثر من غيرها ، لذا تكون العضوية فيه من الجهات الآتية :

أ ـ وزارة الثقافة .

ب ـ وزارة التربية .

(١) محمد كاظم منتوب الحمداني ، المراحل العامة للتخطيط التربوي ، الموقع الالكتروني لكلية التربية / جامعة بابل ، www.uobabylon.edu.iq/uobColeges، استرجع بتاريخ (١ /٢ / ٢٠١٦) .

ج ـ وزارة التعليم العالي والبحث العلمي .

د ـ وزارة الشباب والرياضة .

هـ ـ نقابة الصحفيين العراقيين .

و ـ اتحاد الكتاب والأدباء العراقيين .

ز ـ ممثل لمنظمات المجتمع المدني المعنية بالجوانب الثقافية .

ح ـ هيئة الاعلام والاتصالات .

ط ـ شبكة الاعلام العراقي .

ك ـ نقابة الفنانين العراقيين .

ـ تناط بهذا المجلس المهام الآتية :

١ ـ مناقشة عناصر المنظومة الثقافية واجراء التعديلات والاضافات .

٢ ـ متابعة مراحل تنفيذ المشروع ومراقبة أدواته وتقويمه على وفق جدول زمني .

٣ ـ اقتراح السياسات المستقبلية للمشروع ، بما في ذلك مراحله وأدواته وعناصره .

٤ ـ اقتراح التشريعات القانونية التي من شأنها تسهيل عمليات التنفيذ والزام الجهات المكلفة بذلك.

٥ ـ مناقشة أبواب الميزانية السنوية للمشروع .

٦ ـ تعيين الملاكات البشرية لدوائره المالية والادارية .

٧ ـ اعداد نظام داخلي للمجلس مصادق عليه من مجلس الوزراء .

ـ وتقترح الاستراتيجية تشكيل ثلاثة لجان فرعية تابعة للمجلس تناط بها متابعة ومراقبة عمليات التنفيذ وتقديم التقارير الدورية ، وللمجلس تحديد الأعداد التي يراها مناسبة لكل لجنة ، واللجان المقترحة هي :

أ ـ لجنة الاعلام والفنون.

ب ـ لجنة التربية والتعليم.

ج ـ لجنة الأدباء والكتاب.

ـ تتمثل مهمات اللجان الفرعية بما يأتي:

١ ـ متابعة عمليات التنفيذ ومراقبة الوسائل والطرق المعتمدة .

٢ ــ تقديم التقارير الدورية للمجلس بخصوص الأعمال المكلفة بها .

٣ــ تسمية الأدباء والمثقفين والفنانين الذين توكل لهم مهمة صياغة المضامين الأدبية والفنية المتوافقة مع عناصر المنظومة الثقافية المقترحة.

٤ ــ تحديد الوسائل الاعلامية والفعاليات والأنشطة التي يستعان بها لتنفيذ المشروع.

٥ ــ تغيير المناهج الدراسية بما ينسجم مع مضامين الاستراتيجية .

٦ ــ تحديد الأهداف التربوية المراد تحقيقها، باعتبارها قيماً واتجاهات تستخدم كمعايير لتقدم التنمية.

٧ــ الكشف عن القيم الاجتماعية والفردية السلبية المناهضة لحركة التنمية والتطوير، كالفردية ، والكسب غير المشروع ، والفساد ، والانتهازية .

٨ ــ مهام أخرى يتطلبها التطبيق الميداني للمشروع.

ثانيا ــ أهداف المشروع

بما ان الثقافة مكتسبة ولا تنتقل بالوراثة ، وبما انها نامية ومتغيرة ، (وتتحرك وفق آلية التحول والتكيف ، وعندما تتغير ظروف الحياة ، فإن الأشكال التقليدية للثقافة تتوقف عن مد الإنسان بالحد الأدنى من الإشباع ، لذلك فهي تستبعد أو تُظهر حاجات جديدة وتكيفات ثقافية جديدة ، يعيش الإنسان من خلالها) [١] ،وانطلاقا من ذلك نجد ان تحقيق أهداف هذا المشروع يسهم في اشباع الحاجات الجديدة ، وبالتالي يقود الى تكيفات تعيد للمجتمع توازنه واستقراره وضبط سلوكه الذي تغير كثيرا جراء البيئة المتأزمة التي يعيشها منذ التغيير السياسي في عام ٢٠٠٣م.

ــ وتتمثل أهداف المشروع الذي يقترحه الباحث بما يأتي :

أ ــ اشاعة ثقافة وطنية معاصرة في المجتمع العراقي

ب ــ الاستناد الى العمل العلمي المنهجي من خلال قيام الجهات المختصة بأعداد الخطط الثقافية التي من شأنها غرس منظومة ثقافية مستنيرة .

ج ــ التصدي للقيم السلبية التي أشاعتها بيئة الأزمات والصراعات التي مر ويمر بها العراق .

د ــ العمل على ربط الوسائل والفعاليات والأنشطة الثقافية في اطار ثقافي مرسوم .

هـ ــ الحد من العمل الثقافي الكيفي والعشوائي الذي تقوم به وسائل الاعلام والفعاليات الثقافية التي تقوم بها الأجهزة الحكومية والمدنية .

و ــ مواجهة القيم الوافدة التي تهدد وحدة البلاد وتماسك نسيج المجتمع العراقي .

(١) عبد الغني عماد ، هل للمعرفة والثقافة خصائص ومحددات ؟ مقاربة سوسيولوجية ، alhiwar2012.wordpress.com ، استرجع بتاريخ (٢ / ٢ / ٢٠١٦) .

ز ــ الموازنة بين الأصالة والمعاصرة في العمل الثقافي .

ح ــ دعم القطاعات التي يمكنها الاسهام الفاعل في الاستراتيجية المقترحة .

ط ــ بلورة الوعي بأهمية العامل الثقافي بوصفه شرطا لازما لتحقيق ارادة النهوض والارتقاء .

ثالثا ــ مضمون الثقافة الوطنية المعاصرة

يراد بالثقافة الوطنية الشاملة والمعاصرة ما يأتي :

أ ــ تلك المنظومة المنطوية على جميع ما من شأنه خلق ايمان حقيقي لدى المجتمع العراقي بأهمية المحافظة على وحدة البلاد وتمتين النسيج الاجتماعي، والتعايش السلمي بين مكوناته ، واشاعة روح التسامح والوسطية والمحبة ونبذ التطرف والأحقاد والضغائن والعنف سبيلا لتحقيق الأهداف ، والحث على التمسك بالقانون والنظام بوصفهما من المقومات الأساسية لبناء الدولة ، وتنمية مفاهيم المواطنة ومقوماتها ، واعلاء شأن الولاء الوطني على حساب الولاءات الضيقة ، وابراز حقوق الانسان والحريات العامة والخاصة ، والكشف عن الجوهر الحقيقي للديمقراطية ، وتقبل الرأي الاخر . وغيرها من الأمور التي تندرج في هذا الاطار .

ب ــ تلك المنظومة التي تتسم بالمرونة الكافية بحيث تمنحها القدرة على تمثل المتغيرات الثقافية التي يشهدها العالم المتقدم ، والاستيعاب المتدرج للمستحدث من القيم التي تقتضيها عمليات التنمية ، بما يسهم في ردم الفجوة الحضارية المتسعة باستمرار مع الآخر .

ج ــ تلك المنظومة التي من شأنها بلورة الوعي بالمستقبل ، فاذا كان ماضي الأمة مهما ، فأن المستقبل أكثر أهمية ، فالأمم تحيا للمستقبل وليس للماضي ، وعلى هذا لابد أن تنطوي هذه المنظومة على القيم التي تشكل هوية المستقبل ، ما يستدعي تحرير الحاضر من هيمنة الماضي ، ذلك ان الواقع بعمقه يشير الى ان الانسان العراقي سجين الماضي ثقافة وتفكيرا وسلوكا .

د ــ الثقافة المستنيرة تلك التي تتضمن ما يخلق وعيا موضوعيا بتراث الأمة بكافة أشكاله ، بحيث تدفع المجتمع الى استلهام المشرق من ذلك التراث ونبذ المعتم ، بما يخلق القناعات بأن ليس كل ما ينطوي عليه الماضي مقدسا .

هـ ــ تلك الثقافة التي تحتوي على ما ينمي الاعتزاز بتاريخ الأمة ورموزها ودورها التاريخي ورسالتها الانسانية ومآثرها التي تشكل مرجعيات مشتركة لجميع التكوينات الاجتماعية ، بالشكل الذي يبث الحماس في النفوس لممارسة أدوار فاعلة في راهن الأمة ومستقبلها ، وذلك يسهم في خلق التجانس في الزمان بحيث يشكل الحاضر استمرارا للماضي والمستقبل استمرارا للحاضر .

و ــ تلك الثقافة التي توازن بين الأصالة والمعاصرة بمعانيهما العلمية وليس بالمضامين المتحجرة التي وضعها لهما ضيقو الأفق ، او المعاني التي أُنتجت جراء توظيفات أيديولوجية ، بل المعاني التي تسهم في الارتقاء بالحاضر وتأمين المستقبل .

ز ـ الثقافة المستنيرة هي التي تنطوي على قيم التواصل والتفاعل مع الآخر بوصفه انسانا ، فضلا عن القيم التي تعزز الثقة بالذات وقدرة المجتمع على النهوض عبر بث روح الأمل ونبذ اليأس والنظرة الدونية للنفس التي ترسخ الظن بأفضلية قدرات الآخر .

ح ـ الثقافة المستنيرة تلك التي تتمثل القيم الجوهرية للأديان السماوية ، ذلك ان تنظيم الحياة هو الغاية التي أرادها الله تعالى من الرسالات السماوية .

١ــ مبادئ الثقافة المقترحة

استمد هذا المشروع مبادئه من مقاربات مع ما تمخضت عنه حركة النهضة العربية التي انطلقت أواخر القرن الثامن عشر ، فضلا عن مقاربة مع منطلقات الثقافة الغربية ، والتجربة السياسية التي مر بها العراق منذ بداية تشكيل الدولة العراقية ، آخذين بالحسبان خصائص المجتمع العراقي في المرحلة الراهنة[١] ، وفي ضوء تلك المقاربتين يرى الباحث ان المشروع بمضامينه وأشكاله يجب أن ينطلق من المبادئ الآتية :

أ ـ التفكير الواقعي والعقلاني وعدم الركون الى الغيبيات والخوارق .

ب ـ الترابط الوثيق بين الماضي والحاضر والمستقبل .

ج ـ قدسية حقوق الانسان والحرية الفردية التي لا تتجاوز على حريات الآخرين .

د ـ التواصل مع مختلف التجارب ومنابع الثقافة والمعرفة والعلم .

هـ ـ تحييد المؤسسة الدينية عن العمل السياسي .

و ـ تنقية الدين الاسلامي مما علق به من أفكار وسلوكيات غريبة عن جوهره .

٢ ـ مصادر مضمون المشروع الثقافي

ـ يستمد هذا المشروع بشكله الأولي مضمونه الثقافي من المصادر الآتية :

أ ـ استنباط الأفكار والمفاهيم والقيم وجميع المعاني الثقافية التي انطوى عليها الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥، وضرورة تعامل ادارة المشروع بشكل موضوعي ومن منظور انساني وحضاري مع المضامين المختلف عليها بين القوى السياسية ، ذلك ان الدستور قد حاكى نظريا المفاهيم الثقافية المعاصرة التي أقرتها المنظمات الدولية بقدر كبير .

ب ـ التعامل الجديد مع التراث العربي الاسلامي بكافة أبعاده الأدبية والفكرية والفنية والدينية من خلال التعمق فيه واستحضار مشرقه ، واستكشاف فضاءات الالتقاء مع الآخر ، وتوسيع قنوات

---

(١) انظر بهذا الشأن :
أـ دهام حسن ، إرهاصات الفكر الغربي في تشكيل الثقافة الحديثة ، www.gilgamish.org ، استرجع بتاريخ (٣ / ٢/ ٢٠١٦) .
ب ـ جليل وادي ، القوة الثالثة ، مصدر سابق ، ص ١٨٥.

التواصل والاندفاع نحو المعاصرة ، وبذلك نكون قد أحيينا التراث العربي الاسلامي بمنطلقات جديدة وبآليات العصر ووسائله[١] .

ج ـ غربلة العناصر التي تنطوي عليها الثقافة السائدة وانتقاء ما يتوافق مع هذا المشروع لتعزيزه او تعديله ، ومحاربة العناصر السلبية التي اقتحمت المنظومة الثقافية السائدة بسبب تراكمات التخلف والفراغ الثقافي ومخلفات القوى المعادية للأمة بأساليبها الاستعمارية المباشرة كالاحتلال وغير المباشرة عبر العمل بالنيابة ومن خلال وسائل الاعلام وغيرها.

د ـ مواكبة وتمثل القيم المستحدثة التي تنتجها المنظومات الثقافية للمجتمعات الأخرى من خلال منظور مستقبلي لمدى حاجة المجتمع العراقي لتلك القيم بالشكل الذي يعجل من استيعاب المجتمع لقيم يشكل تمثلها حتمية لا يمكن الاستغناء عنها .

هـ ـ انتخاب العناصر الثقافية المناسبة لمواجهة الحالات الاستثنائية التي تمر بها البلاد والمجتمع العراقي كالأزمات والصراعات والتحديات الخارجية الآنية والمحتملة بغية علاجها او التخفيف من حدتها على أقل تقدير .

و ـ انتقاء العناصر الثقافية التي تشكل احتياجا أساسيا يستدعيه واقع القطاعات المختلفة في الدولة كالتربية والتعليم ، والشرائح الاجتماعية كالشباب والمرأة والطفل .

ز ـ العناصر الثقافية التي توثق من روابط المجتمع العراقي بمحيطه العربي والاسلامي والانساني ، وهي التي يطلق عليها بـ (الكليات الثقافية)[٢] .

ح ـ تعقب ما تنتجه الحركات الثقافية والعلمية والفنية والأدبية والفكرية من قيم ومفاهيم جديدة تعمق وتثري منظومة الثقافة الوطنية ، بما يقود الى التفاعل التدريجي المتجانس استعدادا للمقتضيات المستقبلية .

ط ـ العناصر الثقافية التي تتطلبها عمليات التنمية الوطنية بمختلف أشكالها .

ك ـ العناصر الثقافية التي تفرضها التطورات التكنولوجية الحديثة ووسائل الاتصال والتواصل كالأنترنيت وشبكات التواصل الاجتماعي وغيرها التي يتعاطى معها المجتمع او التي من المحتمل أن يتعامل معها مستقبلا .

٣ ـ أشكال التعبير عن المضمون الثقافي

ليس هناك شكلا محددا للتعبير عن مضمون الثقافة الوطنية المعاصرة ، لان هذا المشروع منفتح على كل الأشكال المعتمدة الآن في التنشئة الثقافية للمجتمع كالفنون الاعلامية المسموعة والمرئية والمقروءة والالكترونية والفنون التشكيلية والمسرحية والسينمائية ، فضلا عن الندوات والمحاضرات والحلقات النقاشية وورش العمل والدروس التعليمية والمهرجانات والمسابقات

(١) عبد الله بن الشيخ المحفوظ بن بيّـه ، مصدر سابق ، استرجع بتاريخ (٢٥ / ١ / ٢٠١٦) .

(٢) عبد الغني عماد ، مصدر سابق ، alhiwar2012.wordpress.com ، استرجع بتاريخ (٢ /٢ / ٢٠١٦) .

والدورات التطويرية ، كما يمكن توظيف البوسترات والفليكسات وغيرها من الأشكال التقليدية والجديدة .

وبما ان الفضاء الذي سيشهد اتساعا في الاتصال والتواصل في العراق مستقبلا هو فضاء الانترنيت ، لذا لابد من استثمار أكبر طاقة ممكنة من طاقاته غير المحدودة ، وعليه سنحتاج الى نوع مختلف من المتعاملين مع هذا الفضاء يتمتع بمهارات التعامل مع وسائل الاعلام الجديد .

واذا كانت وسائل الاتصال والتواصل هي ذاتها التي سنستعين بها في هذا المشروع الطموح ، فان المشروع بأمس الحاجة الى التجديد في أشكال التعبير، ومحاولة ابتكار أساليب غير مألوفة للجمهور في التعرض للرسالة الثقافية . وكذلك الأمر بالنسبة للعملية التربوية والتعليمية التي يجدر بالقائمين عليها الاسراع بخطواتهم باتجاه مغادرة الوسائل التقليدية نحو توظيف التكنولوجيا الحديثة في التعليم والتثقيف.

رابعا ـ المجال الزمني للمشروع

ان غرس منظومة ثقافية بمفاهيم وقيم جديدة ، ونبذ عناصر ثقافية سلبية كان قد ألفها المجتمع ، وظن البعض من أفراده انها القيم الصحيحة ، تبدو للوهلة الأولى غريبة عليه او لم يعتد عليها من قبل ، كما ان تعديل وتعزيز عناصر ايجابية موجودة في الثقافة السائدة أجبرت الظروف التي مرت بها البلاد المجتمع على عدم التمسك او ضعف الايمان بها ، او ان التمسك بها لن يقود الأفراد الى تحقيق الأهداف التي ينشدونها ، وان اعادة ترتيب السلم القيمي على ضوء الحاجات التي تقتضيها مصلحة البلاد والمجتمع راهنا ومستقبلا ، هو أمر لا يمكن له الحدوث بين ليلة واخرى البتة ، بل يتطلب هذا العمل عقود من العمل الجاد والمنظم والعلمي ، وعلى هذا لابد من الآتي :

أ ـ يتطلب نجاح هذا المشروع وجني ثماره مجالا زمنيا مدته عشرون عاما .

ب ـ يقسم المشروع الى خمسة مراحل تشغل كل مرحلة أربعة سنوات .

ج ـ تعد خطة ثقافية لكل مرحلة تتوزع على خطط فرعية سنوية .

د ـ ويمكن تصنيف المضمون الثقافي في العموميات الآتية :

١ـ غرس عناصر ثقافية جديدة .

٢ ـ نبذ عناصر ثقافية سلبية .

٣ ـ تعزيز عناصر ايجابية موجودة في الثقافة السائدة .

٤ ـ اختيار عناصر جديدة واخرى قائمة بحسب نوع التحديات التي تعترض المجتمع من أزمات وصراعات وغيرها التي يحدث وقوعها أثناء تنفيذ الخطة .

٥ ـ ترتيب السلم القيمي في ضوء خصائص المجتمع وظروفه .

هـ ـ يجري العمل في الخطط السنوية على أساس المضمون المتداخل ، بمعنى تحديد العناصر الثقافية من مستويات التصنيف المذكورة لتشكل محتوى الخطة المركزية للمرحلة وخططها الفرعية .

خامسا ـ التحديات القائمة والمتوقعة للمشروع

ان اشاعة ثقافة مستنيرة تتضمن مفاهيم المواطنة والديمقراطية والحريات بمختلف أشكالها يعد أمرا في غاية الصعوبة ، لكنه ليس مستحيلا ، وتواجه هذه الاستراتيجية تحديات عديدة منها :

أ ــ تباين الايمان بالمفاهيم المستنيرة

أظهرت التجربة السياسية العراقية ان جميع التيارات الفاعلة في المشهد السياسي قد أعلنت تبنيها للمفاهيم والقيم المستحدثة ، لكن الواقع كشف ان البعض من تلك التيارات تتوافر على ايمان حقيقي بها ، بينما تتعارض لدى البعض الآخر مع مرجعيات يستند اليها سواء أكانت منظومات ثقافية ام ايديولوجيات سياسية او دينية ، لذلك قد تقف بعض الجهات بشكل غير مباشر حجرة عثرة في طريق تنفيذ مشروع الثقافة الوطنية ، وربما يناصبه البعض العداء بشكل سافر من خلال عناوين مختلفة .

ب ـ هشاشة مؤسسات التنشئة

لعمليات التنمية بضمنها التنمية الثقافية أدوات تستعين بها لتحقيــق أهدافها ، كالإعلام والمدرسة والاسرة ومنظمات المجتمع المدني والمؤسسات الدينية ، واذا كانت لهذه المؤسسات أدوارا فاعلة في عمليات التنمية في المراحل الزمنية السابقة ، فان الفضاء الاعلامي المفتوح والمتعدد والمتاح لمختلف الجهات ، والظروف القاسية التي تمر بها الأسرة العراقية ، وحداثة تجربة منظمات المجتمع المدني ، وسعي بعض الأطراف الى توجيهها لخدمة مصالح ضيقة ، والتناحر الخفي غالبا والظاهر أحيانا بين المؤسسات الدينية ، واتساع ظاهرة عدم القبول بالآخر المختلف دينيا ومذهبيا وقوميا ومناطقيا ، كل هذه العوامل جعلت من الصعب تعبئة هذه المؤسسات لأداء أدوار ايجابية في عمليات التنمية الثقافية ، ذلك ان البيئة الملبدة بالأزمات السياسية التي تجد لها انعكاسات اجتماعية تلقي بظلالها على هذه المؤسسات بالشكل الذي يضعف من أدائها ، ان لم يتجه بها الى مسارات معاكسة لاتجاهات التنمية الثقافية التي يقتضيها بناء العراق الجديد ، ولكي يتسنى توظيف هذه المؤسسات لخدمة التنمية الثقافية ، لابد من البحث عن الآليات العملية المتوافقة مع هذه البيئة .

ج ـ ضعف تجسيد المفاهيم

اذا كانت بعض مفاهيم وقيم المشروع السياسي في العراق قد وجدت لها تجسيدات ميدانية ، فان مفاهيم أخرى لازالت حبيسة اطرها النظرية ، وان ما تجسد منها لم يكن مقنعا للرأي العام او لبعض الشرائح الاجتماعية ، لذلك فان قيم مثل المواطنة والحريات الخاصة والعامة والتسامح لابد أن تتجسد بإجراءات ملموسة للمواطن ، وبعكسه فان التغني بهذه القيم لوحده غير كاف مالم يحصل المواطن على بعض حقوقه . وهذا الأمر قد يُبطىء من عملية الغرس الثقافي ان لم يواجه باللامبالاة .

د ـ النمو المتسارع للإعلام الجديد في الوسط الاجتماعي

مع ان القيم تعد من بين العناصر الراسخة في المنظومة الثقافية السائدة لأي مجتمع ، الا ان تلك القيم تشهد اهتزازا نسبيا بفعل تعرض الجمهور لوسائل الاعلام ، لكن مستوى الاهتزاز اتساعا او ضيقا مرهون بدرجة التحضر التي عليها المجتمع ، ذلك ان المجتمعات المنغلقة يكون تبدل القيم فيها بطيئا جدا نتيجة المقاومة التي تواجه بها عملية نفاذ القيم المستحدثة بسبب صلابة المنظومة الثقافية او تطرفها ، فضلا عن ان وسائل الاعلام المحلية غالبا ما تذهب باتجاه دعم قيم سائدة بغية كسب ميول الجمهور لها ، انطلاقا من ان الجمهور يتفاعل مع الوسائل التي تتوافق برامجها مع القيم التي يتبناها [1] ، الا ان هذا التميع لا يعكس تطابقا كليا مع عناصر ثقافة الجمهور ، بمعنى ان لوسائل الاعلام المحلية قيمها التي تختلف في بعضها عن تلك التي تنطوي عليها ثقافة المجتمع المستهدف برسائلها.

كما ان حجم الرسائل الاتصالية الهائل التي يبثها الاعلام الفضائي وشبكة الانترنيت وما تتضمنه تلك الرسائل من قيم مختلفة لم تألفها بعض المجتمعات كمجتمعنا ، سيقود من دون شك الى تعارض خفي من شأنه هز بعض القيم التي تنطوي عليها ثقافة المجتمع ، وبذلك يتعرض المجتمع الى عملية شد وجذب تمارسها عليه وسائل الاعلام من جانب والبيئة الثقافية السائدة من جانب آخر، وذلك من بين التحديات التي تواجه المشروع والذي يتطلب مهارات مهنية عالية للتعامل مع هذا الفضاء الاعلامي المفتوح .

هـ ـ انفلات التعددية الاعلامية المحلية

مع ان التعددية الإعلامية إحدى صور الديمقراطية ، الا ان التعددية الفوضوية تفضي الى نتائج خطرة على المسيرة الثقافية ، ومنها ما يشكل تهديدا لأواصر التماسك الاجتماعي، وبعضها يربك سلم المنظومة القيمية ، فضلا عن إشاعة ثقافات ضيقة على حساب الثقافة الوطنية التي تتسم بالشمول والانفتاح والمرونة ، وعليه فأن الديمقراطية لا تعني إهمال ضبط التعددية ، او ان جهات الاتصال تتمتع بحق بث ما يحلو لها من رسائل ، لان التجربة كشفت ان من بين الوسائل الإعلامية من عملت بقصد او بدونه على الهدم وليس البناء ، بل ان بعضها غطى على جرائم إرهابية طالت أبناء الشعب ، ومنها من روج لطروحات وأفكار غير وطنية ، ما يعني ان وسائل الإعلام لم تتحل جميعها بالمسؤولية الوطنية ، ما يستوجب وضع ضوابط وتشريعات تجعل من وسائل الإعلام تمارس دورا وطنيا من دون أن تنال تلك الضوابط من حرية التعبير التي كفلها الدستور .

سادسا ـ وسائل وطرق تنفيذ المشروع

يعتمد تنفيذ المشروع على الاستخدام المخطط لوسائل الاتصال الجماهيرية والفعاليات والأنشطة التي تقوم بها مؤسسات الدولة الرسمية والقطاع الخاص ومنظمات المجتمع المدني ، استنادا الى ان عمليات التنشئة بما فيها التنشئة الثقافية تستوجب توزيعا دقيقا للأدوار على وكالات التنشئة بكافة أنواعها وعلى النحو الآتي:

([1]) محمد عبد الحميد ، نظريات الاعلام واتجاهات التأثير ، ط٣ ، القاهرة ، عالم الكتب ، ٢٠٠٤ ، ص ٢٥٢.

أ ـ وسائل الاعلام

ان مشروعا ثقافيا وطنيا بوصفه حاجة ماسة للنهوض ، وحصنا منيعا للحد من التوجهات السلبية للثقافات الفرعية ، وسلاحا لمواجهة المشاريع الضيقة يتطلب توظيفا كفؤا لوسائل إعلامية وطنية ، وليس اعتمادا على وسائل حزبية او مستقلة او وسائل إقليمية محلية ، مع امكانية الافادة منها لأداء أدوار تكميلية ، ذلك ان هذه الوسائل لا يمكنها القيام بمثل هذا المشروع لأسباب كثيرة منها ما يتعلق بمحدودية نطاقها ، او تعارض توجهاتها مع بعض المفاهيم التي يطرحها المشروع الوطني ، لكن الواقع يشير الى ضآلة الوسائل الإعلامية الوطنية قياسا بالحزبية والمستقلة ، فضلا عن عدم كفاءة بعضها بسبب افتقادها للخبرات او ضعف إمكاناتها ، الأمر الذي يستدعي إعادة النظر بالمسألة الإعلامية أثناء الأعداد لمشاريع وطنية[١] ، وفي اطار تطبيق الاستراتيجية المقترحة لابد من اتخاذ ما يأتي :

١ـ تخصيص أوقات ومساحات مناسبة من وسائل الاعلام الرسمية المقروءة والمرئية والمسموعة لبث ونشر المواد الاعلامية الخاصة بالمشروع .

٢ـ شراء أوقات ومساحات مناسبة من الوسائل الاعلامية الخاصة التي تحظى بمشاهدة ومتابعة واسعة من الجمهور العراقي لبث ونشر المواد الاعلامية المتعلقة بالمشروع الثقافي .

٣ ـ استحداث شركات حكومية رسمية لإنتاج البرامج التلفزيونية والاذاعية الخاصة بالمشروع ، او تكليف الوسائل الاعلامية الكفؤة بإنتاج تلك البرامج .

٤ ـ تفعيل المحطات الاذاعية والتلفزيونية التابعة لشبكة الاعلام العراقي في المحافظات ، وتوظيفها لخدمة مشروع الثقافة الوطنية بما يبعدها عن العمل الاعلامي العشوائي والكيفي ، وتخليصها من تأثيرات القوى السياسية التي تعمل على توجيهها نحو مسارات تصب في خدمة مصالح سياسية خاصة .

٥ ـ تكليف التلفزيون التربوي التابع لوزارة التربية وقناة الجامعية الفضائية التابعة لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي بإنتاج وبث البرامج الخاصة بمشروع الثقافة الوطنية .

ب ـ وزارة الثقافة

لم نتلمس في هذه الوزارة منهجا ثقافيا واضحا تعمل على اشاعته في الوسط الجماهيري ، واتسمت فعالياتها الثقافية المحدودة بالشكلية دون العمق ، وجاءت مضامين الفعاليات ليس على وفق رؤية مرسومة مسبقا ، بل في ضوء مبادرات من الجهات التابعة لها التي شغل بعضها الهاجس الاعلامي أكثر من غرس المضمون الثقافي ، وكشفت تجربة السنوات الماضية ان مؤسسات ثقافية خاصة قد قامت بفعاليات ثقافية عجزت الوزارة عن القيام بمثلها ليس بسبب ضعف امكانياتها بل بسبب هيمنة الروتين على اجراءاتها وانشغالها بما هو سياسي واداري غافلة المهمات الأساسية لها ، كما انها لم تحظ بالدعم المادي والمعنوي من قبل الحكومة بسبب عدم الادراك الحقيقي لأهمية الثقافة او لأن تأثيراتها الايجابية تقتضي زمنا طويلا ، بينما تعنى السلطة

(١) جليل وادي ، الاعلام في البيئات المتأزمة ، مصدر سابق ، ص ٤٣ وص٤٤ .

بالتأثيرات العاجلة بصرف النظر عن امتداداتها الزمنية كما هو الحال بالنسبة للوزارات الأمنية ، كما ان المحاصصة السياسية أسهمت بقدر كبير بحرف اتجاهات الوزارة عن المسارات المفترضة لها . وانطلاقا من هذه الملاحظات وغيرها مما لا يتسع المكان لإيرادها ، نجد ان على الوزارة أن تقوم في اطار هذا المشروع بما يأتي :

١ـ مطالبة الجهات التابعة لها بتقديم خطط سنوية لأنشطتها التي يجب ان تكون تجسيدا واضحا لمشروع الثقافة الوطنية المقترحة .

٢ـ تهيئة البنى التحتية الفنية والثقافية من مسارح ودور سينما وقاعات موسيقية ومعارض تشكيلية في جميع المحافظات .

٣ـ دعم القطاع الخاص الراغب بتهيئة بنى تحتية للأنشطة الثقافية ، وتحديد الآليات التي يمكن من خلالها توظيف هذا القطاع لخدمة مشروع الثقافة الوطنية .

٤ـ استحداث دور نشر حكومية لنشر الكتب بعامة ، وتقديم التسهيلات اللازمة للكتب التي تندرج في اطار مشروع الثقافة الوطنية .

٥ـ تشجيع الكتاب والمفكرين وأساتذة الجامعة والفنانين على تأليف الكتب ذات الصلة بمشروع الثقافة الوطنية مقابل اجور مجزية ، على أن تخضع تلك الكتب لتحكيم الخبراء المتخصصين في هذا المجال .

٦ـ تنظيم مهرجانات فنية وأدبية وغيرها وفق خطة سنوية تدار من الوزارة وتنفذ في العاصمة والمحافظات وبشكل دوري .

٧ـ تشكيل فرق مسرحية وموسيقية تابعة للوزارة في المحافظات وتكليفها بعروض مسرحية وموسيقية تجسد مشروع الثقافة الوطنية ، فضلا عن ان ذلك يفّعل الحركة الفنية في المحافظات .

٨ـ اعادة العمل بتجربة المسرح والسينما الجوالة لتقديم العروض المسرحية والسينمائية في القرى والأرياف .

٩ ـ استقطاب الطاقات السينمائية المتميزة وتكليفها بتجسيد مضامين الثقافة الوطنية بأفلام روائية وتسجيلية .

١٠ـ مطالبة الجهات المالية المعنية بتخصيص الأموال اللازمة التي يتسنى من خلالها تنفيذ هذا المشروع .

١١ ـ مطالبة البيوت الثقافية في المحافظات بدور فاعل في تجسيد مضامين الثقافة الوطنية بفعاليات ثقافية متنوعة وعلى وفق منهاج سنوي مراجع من قبل الوزارة ولجنة التربية والتعليم والفنون في ادارة المشروع .

١٢ ـ تفعيل دور دار ثقافة الاطفال من خلال دعم أنشطتها ومطبوعاتها من الكتب والدوريات بما يضمن وصولها الى الأطفال ، ويمكن التنسيق بهذا الصدد مع مديريات التربية في العاصمة والمحافظات .

ج ـ وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

يمكن لوزارة التعليم العالي أن تسهم بفاعلية في هذا المشروع من خلال الآتي :

١ـ استبدال مادة حقوق الانسان والديمقراطية التي تدرس في الجامعات بمادة الثقافة الوطنية التي ينطوي مضمونها على العديد من المفردات بضمنها مادة حقوق الانسان والديمقراطية .

٢ـ أن تخصص جزءا من خطة الجامعات المتعلقة بالندوات والمؤتمرات والمحاضرات لمشروع الثقافة الوطنية وبنسبة محددة على وفق رؤية ادارة المشروع المبنية على مقترحات لجنة التربية والتعليم .

٣ـ أن تتصدى الخطة البحثية في الكليات الانسانية للمشكلات والظواهر الثقافية في البلاد.

٤ـ أن تتحمل الجامعات تكاليف مؤلفات الأساتذة التي تتناول موضوعات الثقافة الوطنية بعد عرضها على لجان تحكيمية مخصصة لهذا الغرض .

٥ـ اصدار اللافتات والمطبوعات بكافة أشكالها التي تثقف جمهورها بعناصر مشروع الثقافة الوطنية .

٦ـ اقامة النصب والجداريات للرموز الأدبية والفنية والعلمية والتراثية العراقية .

٧ ـ تسمية القاعات والشوارع والنوادي بأسماء الرموز التي قدمت خدماتها الثقافية للمجتمع العراقي .

د ــ وزارة الرياضة والشباب

يمكن أن تقوم وزارة الرياضة والشباب بما يأتي :

١ـ مطالبة بيوت الشباب في المحافظات بتقديم منهاج سنوي يجسد مضمون الثقافة الوطنية على شكل ندوات ومحاضرات ومهرجانات فنية ودورات ثقافية .

٢ـ اقامة المسابقات الرياضية تحت شعارات تمثل عناصر الثقافة الوطنية .

٣ ـ تأسيس فرق لمختلف أنواع الفنون في فروع مديريات الرياضة والشباب في الأقضية والنواحي تتناول في أعمالها عناصر ومفاهيم الثقافة الوطنية .

٤ـ اعادة العمل بلجان التنشئة الريفية للقيام بمهام من شأنها الارتقاء بثقافة الشباب عبر مختلف الفعاليات والأنشطة الثقافية .

هـ ـ وزارة التربية

تسهم وزارة التربية في مشروع الثقافة الوطنية من خلال الآتي :

١ـ تشكيل لجان مركزية في مديريات التربية في المحافظات لاقتراح الخطط التنفيذية لمشروع الثقافة الوطنية في المدارس للمصادقة عليها من المجلس الأعلى للثقافة .

٢ـ اعادة النظر في المناهج الدراسية الحالية على وفق أهداف مشروع الثقافة الوطنية .

٣ـ اعادة الاعتبار لدرس التربية الفنية لأهميته في تنمية الذوق الفني للطلبة ، وامكانية توظيفه بما يخدم الثقافة الوطنية .

٤ـ أن يُشكل المسرح وقاعة العرض التشكيلي جزءا أساسيا من المدرسة في التصاميم الحديثة للمدارس ، لتوفير البنية التحتية للأعمال المسرحية ورسوم الطلبة وفرق الانشاد ، ويجب أن تدور تلك الأعمال في اطار المنظومة الثقافية المقترحة .

٥ ـ اصدار النشرات الجدارية الطلابية المعبرة عن مضامين الثقافة الوطنية .

٦ـ اقامة المهرجانات الخطابية والمسابقات الأدبية ذات المضامين الوطنية ، على أن تقام هذه الفعاليات فصليا وبرعاية مسؤولين كبار في مديريات التربية ، وأن تتسم بإجراءاتها التنظيمية الدقيقة لإشعار الطلبة بأهميتها .

٧ـ اقامة دورات تطويرية للملاكات التدريسية لتثقيفهم بمضامين الثقافة الوطنية التي يراد غرسها في نفوس الطلبة .

٨ ـ اعادة العمل بتجربة التلفزيون التربوي وتنظيم المشاهدات الجماعية للبرامج الثقافية ، فضلا عن تزويد المدارس بالمعدات اللازمة لإقامة اذاعة مدرسية تبث البرامج التثقيفية خلال أوقات استراحة الطلبة.

٩ـ تشكيل لجان دائمية من الملاكات التدريسية الكفؤة للعناية بتنفيذ ومتابعة المهام المطلوبة من ادارات المدارس بهذا الشأن ، وتقديم التقارير الدورية للجان المركزية في مديريات التربية في المحافظات ، على أن تُعطى لهذه اللجان الأوقات الكافية لتنفيذ مهامها بمستوى من الجودة ، وأن تتألف هذه اللجان من المختصين بالتربية الفنية والتربية الوطنية واللغة العربية .

و ـ هيئات الاوقاف الدينية

ضرورة أن تخضع هيئتا الوقف الشيعي والسني وبقية المؤسسات المعنية بالديانات الأخرى الى المبادئ التي يستند اليها المجلس الأعلى للثقافة ، فضلا عن التعليمات التي ستصدر لاحقا من المجلس وبحسب مراحل المشروع المختلفة ، على أن تضمن الأجهزة الحكومية تطبيق الهيئات لتلك المبادئ التي تذهب الى ما يأتي :

١ـ ابعاد الخطاب الديني عن المضامين السياسية باستثناء ما يتعلق بمضامين المشروع الثقافي المقترح .

٢ـ أن يتضمن الخطاب الديني المشترك بين المذاهب الدينية ، ومحاسبة رجال الدين الذين يركزون على جوانب الاختلاف .

٣ـ عدم السماح بإعتلاء المنابر الدينية في الجوامع والحسينيات لغير المؤهلين ، ويجب أن يتمتع خطباء الجوامع والحسينيات بالتزكيات الموثقة من الهيئات او المراجع الدينية العليا .

٤ـ التنسيق بين الأوقاف الدينية والمجلس الأعلى للثقافة بمضامين الفعاليات والأنشطة والدورات غير التقليدية التي تعتزم الأوقاف الدينية تنظيمها وقبل وقت مناسب من اجراءها .

٥ـ يشترط حضور ممثل عن المجلس الأعلى للثقافة او لجانه الفرعية الفعاليات التي تقيمها الأوقاف الدينية ، ويطالب الممثل بتقديم تقرير عن الفعاليات لرئيس المجلس .

سابعا ـ ميزانية المشروع

يقتضي نجاح مشروع الثقافة الوطنية تخصيص ميزانية مالية حكومية سنوية تكون الأساس المالي لإنفاقه على النحو الآتي :

أ ـ تغطية المصاريف المالية اللازمة لتنظيم مختلف الأنشطة والفعاليات والمهرجانات والاصدارات التي تصدر بشكل مركزي من المجلس الأعلى للثقافة .

ب ـ تغطية رواتب موظفيه .

ج ـ تغطية المكافآت التشجيعية وأجور الاستشارات .

د ـ تغطية الإيفادات داخل البلاد التي تتطلبها متابعة المشروع .

هـ ـ تغطية النفقات المحتملة لاستحداث وصيانة بنى تحتية يحتاجها المشروع خلال سني تطبيقه.

و ـ تعد كشوف رواتب أعضاء المجلس ولجانه الفرعية طبقا لنظام الخدمة المدنية المعمول به في بقية مؤسسات الدولة .

ز ـ يجري صرف بنود ميزانية المشروع بحسب الضوابط المالية المرعية .

ح ـ يخضع صرف بنود ميزانية المجلس لمراقبة (ديوان الرقابة المالية) بوصفه الجهة الحكومية المناط بها التدقيق على ميزانيات وزارات ومؤسسات الدولة .

ثامنا ـ الجوانب القانونية للمشروع

ليتسنى توافر سبل نجاح تنفيذ مشروع الثقافة الوطنية لابد أن تتوافر له التشريعات القانونية المناسبة ومنها :

أ ـ اصدار قرار جمهوري بتأسيس المجلس الأعلى للثقافة.

ب ـ أن تتوافر الشرعية الرسمية لأهداف المشروع وبرامجه من خلال اقراره من الحكومة او التصويت عليه في البرلمان لإبعاده عن الانتهاكات والتدخلات واحتمالات توظيفه سياسيا لحساب مصالح خاصة .

ج ـ اصدار التعليمات والضوابط التي تكفل التزام مختلف الجهات الرسمية وغير الرسمية بمبادئ المشروع ومضامينه ، والعمل على تنفيذه على وفق رؤية المجلس الأعلى للثقافة .

د ـ ضمان استقلالية المجلس الأعلى ومشروعه الثقافي من التأثيرات السياسية والمالية التي من المحتمل حدوثها جراء تبدل الحكومات في البلاد .

تاسعا ــ تقييم المشروع

يراد بتقييم المشاريع (مجموعة الفعاليات والأنشطة الإنسانية المتعلقة بقياس صلاحية البرامج العامة للتنفيذ ، ومدى قدرتها على تحقيق الأهداف المحددة لها من جهة ، ومعرفة الانحرافات بين النتائج المتحققة والأهداف المخططة لها ، واتخاذ الإجراءات اللازمة من تعديل أو تبديل أو إلغاء أو تأجيل ، وغير ذلك من جهة أخرى) [١] ، وبما ان المشروع يهتم بشأن وطني ، ويتطلع الى عرضه على الحكومة لتبنيه وتطبيقه على مستوى البلاد ، فأن الباحث يجد ان تقييم هذا المشروع يفترض أن يجري على النحو الاتي :

أـ التقييم القبلي الأولي : ويراد به تقييم مضمون المشروع وسياسته قبل التنفيذ لمعرفة مدى وضوح مشكلة البرنامج ودقة أهدافه وجهة تمويله والنتائج المتوقعة من تنفيذ المشروع والمعوقات والصعوبات التي يمكن أن تعترض سبيل تنفيذه .

ب ـ التقييم البعدي المرحلي : ويقصد به تقييم اجراءات رسم وتنفيذ المشروع على وفق مراحله الزمنية ، وبما ان المشروع المقترح يشغل حيزا زمنيا يمتد لعشرين عاما جرى تقسيمه على خمسة مراحل ، تشغل كل مرحلة أربع سنوات ، لذا لابد ان يأخذ التقييم هذا الجانب بالحسبان .

ج ـ التقييم السنوي : ويهدف هذا التقييم الى التعرف الى أي مدى جرى تطبيق المشروع بشكل صحيح وعلى وفق الخطط المرسومة .

د ـ التقييم النهائي : ويراد به معرفة الآثار المباشرة وغير المباشرة التي خلّفها المشروع في المجتمع .

ــ ويمكن أن يخضع المشروع للتقييم من الجهات الآتية :

أ ـ البرلمان العراقي : لكون المشروع تجري ادارته من قبل المجلس الأعلى للثقافة الذي يتبع لمجلس الوزراء ، وان تنفيذه يتم من خلال دوائر تنفيذية كالوزارات وأجهزة الاعلام الرسمية .

ب ـ ديوان الرقابة المالية : وهو من أهم الاجهزة الحكومية المعنية بتقييم المشاريع العامة ومستوى الأداء الحكومي في تنفيذها .

([١]) عباس حسين جواد وارزوقي عباس عبد ، تقييم البرامج والمشاريع العامة : إطار نظري ، www.ahlulbaitonline.com ، استرجع بتاريخ (١٠ / ٢ / ٢٠١٦) .

ج ـ الادارات التنفيذية : اذ يجب أن تقوم الوزارات والهيئات والمديريات المعنية بتنفيذ المشروع بأجراء العمليات الرقابية والتقييمية لما قامت بتنفيذه من المشروع .

كما يمكن للمجلس الاستفادة من التقييمات التي تقوم بها وسائل الاعلام والأحزاب والنخب بالرغم من كونها تقييمات شكلية لا تستند الى الأساليب العلمية ، وفي أحيان كثيرة تأتي بدوافع سياسية ، لكن ذلك لا يعني اهمالها فقد تنطوي على ما يمكن الاستفادة منه .

❖ الاستنتاجات

توصل البحث الى الاستنتاجات الآتية :

اولاـ اتضح ان المنظومة الثقافية في العراق تتشكل بطريقة عشوائية وكيفية ، الأمر الذي أفرز تداعيات خطيرة منها ما يهدد وحدة الوطن وتمزيق نسيجه الاجتماعي كشيوع ثقافة التطرف وتراجع الشعور بالانتماء الوطني واعلاء شأن ثقافات فرعية ضيقة على حساب الولاء الوطني .

ثانيا ـ كشف البحث عن غياب الهوية الثقافية في العراق ، ذلك ان العمل الكيفي لمجموعة القوى الفاعلة في المشهد السياسي والثقافي وضع المجتمع ازاء ثقافات فرعية متعددة بسبب تركيزها على الخصوصيات واهمال العموميات والمشتركات الثقافية بين المواطنين ، كما ان العشوائية التي يجرى العمل الثقافي على وفقها يتعذر معها تصور ملامح الهوية الثقافية المستقبلية .

ثالثا ـ تبين ان المدخل الثقافي يعد حاسما في ايجاد الحلول للمشكلات العراقية بكافة أبعادها السياسية والاجتماعية والاقتصادية او حلحلتها على أقل تقدير، ولا يلغي ذلك الأدوار التي يمكن أن تؤديها المداخل الأخرى كالسياسية والاقتصادية .

رابعا ــ بدا ان الظاهرة السياسية العراقية بكل ما انطوت عليه من تعثر وانحراف عمليتها السياسية عن المسارات المحددة لها ، وما أنتجته من طبقة سياسية غريبة في أطوارها ، ما هي الا افراز لمنظومة ثقافية تراكمت فيها العناصر السلبية ، فضلا عن ارتباك سلمها القيمي ، بالشكل الذي تعذر معه تعزيز الثوابت والمبادىء الوطنية وضبط حركة المجتمع .

خامسا ـ ان الارتقاء بالواقع العراقي وتأمين الدخول الفاعل للمستقبل يستدعي من الجهات المسؤولة تبني استراتيجية ثقافية وطنية واضحة ، والعمل على شيوعها في البلاد بطريقة علمية وعلى وفق خطط مرحلية ، ذلك ان الثقافة الوطنية الشاملة والمعاصرة تشكل حاجة أساسية في المرحلة الراهنة لا يمكن اغفالها او تجاوزها .

سادسا ـ ان الثقافية المعاصرة والمستنيرة هي عميلة تمثل لعناصر ثقافية سامية ونبيلة تنتمي لمرجعيات عديدة تتفق في جوانب وتختلف في اخرى وتتقاطع في أحيان معينة ، وان النجاح يكمن في القدرة على صهرها في منظومة ثقافية جديدة ، ذلك انها تنتقي عناصرها من الماضي والحاضر والمستقبل ، ومن ما هو سائد وما يعود لتراث الأمة وما يرتبط بثقافة الآخر ، ما يتطلب من الفاعل الثقافي رؤية ثاقبة ومهارة فائقة ومعرفة بخصائص المجتمع وخبرة بواقعه .

سابعا ـ كشف البحث عن حاجة المجتمع والدولة الى ثورة ثقافية ، ذلك ان الرسالة الثقافية الوطنية محدودة من حيث الكم والنوع ، وان صياغات المتوافر منها ركيكة وأشكال تجسيدها ضعيفة ومساحات انتشارها ضيقة ، وذلك يستدعي الارتقاء بنوعها وأشكالها وكميتها ، فضلا عن تحشيد الجهد الوطني بمختلف أشكاله لنشرها على أوسع نطاق .

ثامنا ــ يستدعي اشاعة ثقافة وطنية مستنيرة توزيعا للأدوار بين وكالات التنشئة الثقافية ومؤسسات الدولة المعنية والفعاليات المدنية ذات الصلة ، ذلك ان تشكيل هذه الثقافة ليس من اختصاص جهة دون اخرى ، ولكل من تلك الجهات أدواتها التي تنفذ من خلالها الى المجتمع .

تاسعا ـ تبين ان تحديات لا يستهان بها ستواجه مشروع الثقافة الوطنية في حال تطبيقه ، منها ما يرتبط بالنمو المتسارع لاستخدامات الجمهور العراقي لشبكات التواصل الاجتماعي ومنها ما يتعلق بالتعددية الاعلامية المحلية غير المنضبطة ، فضلا عن تحديات القوى التي لا يروق لها مشروع الثقافة الوطنية .

عاشرا ـ اتضح ان وسائل الاعلام الرسمية بوضعها الراهن لن تكون قادرة على الايفاء بمتطلبات مشروع الثقافة الوطنية بالشكل الأمثل ما لم يجر اصلاحها بتنقيتها من العناصر الطارئة واسناد المسؤوليات الاعلامية للكفاءات المهنية ، واعادة تقييم الوسائل الاعلامية الرسمية في المحافظات على وفق معايير العمل الاعلامي وكمية الأموال التي انفقت ، ودعم تلك الوسائل بما يمكّنها من احتلال مراتب متقدمة في الساحة العراقية قياسا للوسائل الحزبية والخاصة ، فضلا عن اصدار التشريعات والضوابط التي تحد من الانفلات الاعلامي القائم .

أحد عشر ـ لم يتضح دورا تربويا فاعلا للمؤسسات التربوية والتعليمية في الاطار الوطني ، وان المخرجات تشير الى خلل بنيوي في آليات العمل والأدوات والمضمون الوطني الذي يراد له الشيوع والرسوخ لدى التلاميذ والطلبة ، ما يتطلب عقد مؤتمر وطني لمناقشة ورقة التربية والتعليم في هذا الشأن .

اثنا عشر ـ لم تتمكن وزارة الثقافة خلال المدة الماضية من تفعيل القدرات الفائقة للفنون في تجسيد المضمون الوطني للثقافة ، ولم تهيأ البني التحتية اللازمة لذلك ، واقتصرت نشاطاتها المحدودة على العاصمة ، بينما أهملت المحافظات ، بالرغم من الأهمية القصوى للفنون في التخفيف من حدة المزاج الاجتماعي المتشنج وتعميق المفاهيم الوطنية .

❖ مراجع البحث ومصادره

١ـ جليل وادي ، الاعلام في البيئات المتأزمة : العراق نموذجا ، (عمان : دار اسامة ،٢٠١٢) .

٢ـ جون ديوي ، الحرية والثقافة ، ترجمة أمين مرسي قنديل ، (القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية) ، بدون تاريخ .

٣ـ هادي نعمان الهيتي ، اشكالية المستقبل في الوعي العربي ، (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ٢٠٠٣) .

٤ـ هيئة التحرير ، المواطنة .. الوطن .. الوطنية ، مجلة المواطنة والتعايش ، مركز وطن للدراسات ، العدد (١) ، ٢٠٠٧ .

٥ ـ حسين درويش العادلي ، المواطنة وامتحان الولاء ، مجلة المواطنة والتعايش ، مركز وطن للدراسات ، العدد (٢) ، ٢٠٠٧ .

٦ـ جليل وادي ، الاعلام والفراغ الثقافي .. رحلة التميع والتيه ، بغداد : جريدة المدى ، العدد (٣٢٥٩) ، في ١١ / ١/ ٢٠١٥ .

٧ـ خير الله سعيد ، الاصلاح يبدأ بالثقافة ، www.alnaked-aliraqi.net

٨ ـ حسام الدين علي مجيد ، التعددية الثقافية ومستقبل الدولة ـ الأمة الكندية : مقاربة لحالة العراق ، بيروت : مجلة المستقبل العربي ، العدد (٤٢٦) ، ٢٠١٤ .

٩ـ جليل وادي ، الوعي بالتجربة ، بغداد : جريدة المدى ، العدد (١٢٤٣) في ٢٩ / ١٢ / ٢٠٠٧ .

١٠ـ عبد الله بن الشيخ المحفوظ بن بيّـه ، الثقافة العربية والمستقبل ، www.binbayyah.net/portal/research/151

١١ ـ محمد منير حجاب ، أساسيات البحوث الاعلامية والاجتماعية ، ط٣، (القاهرة : دار الفجر للنشر والتوزيع ، ٢٠٠١) .

١٢ـ أبو طالب محمد سعيد ، علم مناهج البحث ، الجزء الأول ، (بغداد : دار الحكمة للطباعة ، ١٩٩٠)

١٣ـ شيماء ذو الفقار زغيب ، مناهج البحث والاستخدامات الاحصائية في الدراسات الاعلامية ، (القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، ٢٠٠٩) .

١٤ـ كاظم هاشم نعمة ، الوجيز في الاستراتيجية ، (بغداد : شركة أياد للطباعة ، ١٩٨٨) .

١٥ـ تعريف الاستراتيجية ، faculty.ksu.edu.sa/28723/DocLib

١٦ـ معجم المعاني الجامع ، www.almaany.com/ar/dict/ar

١٧ـ حسن حنفي ، الأصالة والمعاصرة .. بأي معنى ؟ ، جريدة الاتحاد الاماراتية ، ٩ / فبراير / ٢٠١٦ .

١٨ـ صالح زياد ، الأصالة : مهاد المفهوم (اللغة ، التاريخ ، الايديولوجيا) ، www.al-jazirah.com/culture

١٩ـ جليل وادي ، القوة الثالثة : الادارة الاعلامية للأزمات العربية ، (عمان : داري البداية والمستقبل ، ٢٠١٣) .

٢٠ـ محمد كاظم منتوب الحمداني ، المراحل العامة للتخطيط التربوي ، الموقع الالكتروني لكلية التربية / جامعة بابل ، www.uobabylon.edu.iq/uobColeges

٢١ ـ عبد الغني عماد ، هل للمعرفة والثقافة خصائص ومحددات ؟ مقاربة سوسيولوجية ، alhiwar2012.wordpress.com

٢٢ ـ دهام حسن ، إرهاصات الفكر الغربي في تشكيل الثقافة الحديثة ، www.gilgamish.org

٢٣ـ محمد عبد الحميد ، نظريات الاعلام واتجاهات التأثير ، ط٣ ، (القاهرة : عالم الكتب ، ٢٠٠٤) .

٢٤ـ عباس حسين جواد ، ارزوقي عباس عبد ، تقييم البرامج والمشاريع العامة : إطار نظري ، www.ahlulbaitonline.com